الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٤هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير) سورة الفاتحة "أنموذجا"

يحي محمد عبداللطيف نورالدين (*)

مستخلص البحث

يتناول هذا البحث موضوع الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٤هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير)، حيث يعد موضوع الكشف عن الأقوال التفسيرية الضعيفة من أهم المسائل المتعلقة في التفسير وتأتي أهمية هذا الموضوع لما له من علاقة وطيدة ببيان معاني القرآن الكريم، وحاجة الكثير من كتب التفسير إلى تمييز الأقوال الضعيفة التي لا يليق تفسير كلام الله بها وإيضاح وجه ضعفها.

وقد كان الطاهر بن عاشور على درجة عالية من التضلع من العلم والتمكن في الاجتهاد، فهو القاضي المالكي، والمفتي الشرعي، والإمام الأعظم الذي حمل هم الإصلاح الديني والاجتماعي، وهو إمامٌ فى التفسير مَتبوع، فهو صاحب أهم موسوعة تفسيرية في العصر الحديث، حيث جاء تفسيره نموذجا دالا على عظيم المهمة التي تضلع بها، وتوجه إليها، حيث لم يقتصر على مجرد التفسير، بل اشتمل على فنون عديدة، وأقوال جديرة بالدراسة، ومنها موضوع هذا البحث.

ومن تلك المسائل التي عالجها هذا البحث: الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٤هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير) سورة الفاتحة "أنموذجا"

وذلك في مسألتين:

الأولي: الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في ذكر أول ما نزل من القرآن الكريم.

الثانية: الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في كون البسملة آية من سورة الفاتحة.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الماجستير الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: [الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور (ت١٣٩٤هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير) من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام "جمعا ودراسة"]، وتحت إشراف أ.د. وجيه محمود أحمد – كلية الآداب – جامعة المنيا & د. أمين عبيد فهمي - كلية الآداب – جامعة سوهاج

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾[١], فجعل القرآن الكريم هداية للناس، ونبراساً يضيء لهم الطريق، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله النبي الأكرم، علم القرآن فكان خير معلم، فصلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد :

فإنَّ اللهَ سبحانه وتعالى قد تكفل ببيان القرآن الكريم كما تكفل بحفظ ألفاظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾[٢].

وقد أدرك المسلمون عِظَمَ شأن القرآن الكريم، فاعتنوا به عنايةً كبيرةً، وأحاطوه بكل أسباب الرعاية، وكان أبرز شيء من هذه الرعاية: تفسير آياته للناس، وبيان معانيه، وإيضاح علومه، وتفسير ألفاظه، ومفرداته، وقد هيأ الله ﷻ لهذه الأمة المباركة مَن يبين لها معاني القرآن على مر العصور والأزمان، وإمامهم في ذلك النبي الكريم ﷺ، الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾[٣].

ثم قام الصحابة الكرام – رضى الله عنهم– بهذه المهمة أتم القيام، وسار التابعون لهم بإحسان الذين زكّاهم الله ﷻ، وأثنى عليهم رسوله ﷺ على هذا النهج ، فبلّغوا القرآن - ألفاظه ومعانيه - من بعدهم بكل أمانة وصدق.

ثم تصدى لهذه المهمة – مهمة بيان القرآن – علماءُ أجلاء، وأئمةٌ نجباء؛ فسروا آيات القرآن الكريم كاملة، وبيّنوا معانيه الخافية، وأظهروا من أسراره الكامنة، وكنوزه الهائلة ما نفع الله ﷻ به الأجيال المتعاقبة.

وقد دونت في ذلك الكتب والمؤلفات المطولة والمختصرة، إلا أن بعضها اشتمل على أقوال ضعيفة اجتهد العلماء فى بيان ضعفها.

ومن أبرز هؤلاء العلماء الذين خلفوا ميراثاً تفسيرياً مباركاً الإمام الطاهر ابن عاشور، حيث إنه تعامل مع أصول علم التفسير، وضوابطه الدقيقة، وقد كان له إسهام كبير في التمييز بين أقوال المفسرين، وبيان القول الضعيف منها، وتَوضيح وجه ضعفِه في تفسيره الذي أسماه: ((التحرير والتنوير))، واسمه الكامل: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، فكان عملًا يستحقُّ التأمُّل والدراسة، للوقوف على الأقوال التفسيرية التى ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في التفسير، ومن هذا المنطلق كان اختيار موضوع البحث بعنوان:(الأقوال

(١)سورة النحل ، الآية:٨٩.
(٢)سورة الحِجر، الآية:٩.
(٣)سورة النحل: من الآية٤٤.

التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٤هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير) من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام "جمعا ودراسة").
سائلا المولى الكريم أن يجعل هذا العمل عوناً لي على طاعته، وسبيلاً من سبل تحصيل العلم الموصلة إلى جناته، وأن يغفر لي ما حصل فيه من التقصير والخطأ، وأن يعينني على السداد، ويوفقني للصواب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

أهمية الموضوع:

لهذا الموضوع أهمية كبيرة للوقوف على المنهج الذى سار عليه الطاهر ابن عاشور رحمه الله فى مناقشته للأقوال الضعيفة في تفسيره التحرير والتنوير، ومعرفة الألفاظ التي استخدمها في رد تلك الأقوال الضعيفة، فكان عملا يستحق التأمل والدراسة، وتنحصر أهمية البحث في عدة أمور منها:
١-تعلق الموضوع بالقرآن الكريم كتاب الله المعجز، وهو المرجع الأول لكل مسلم.
٢-هذا الموضوع يبحث في أشرف العلوم وأجلها، وأعظمها بركة، وأوسعها معرفة، وهو علم التفسير.
٣-حاجة كثير من كتب التفسير إلى تمييز الأقوال الضعيفة التي لا يليق تفسير كلام الله بها وإيضاح وجه ضعفها في ضوء مناقشة الإمام الطاهر ابن عاشور لها في تفسيره التحرير والتنوير.
٤-الوقوف على المنهج الذي سار عليه الإمام الطاهر ابن عاشور في مناقشة الأقوال الضعيفة في تفسيره التحرير والتنوير.

أسباب اختيار الموضوع:

قمت باختيار هذا الموضوع لعدد من الأسباب، وهي كما يلى:
١- المكانة العظيمة لدراسة تفسير القرآن الكريم لبيان أحكام الشريعة الإسلامية.
٢- المكانة العلمية لتفسير: (التحرير والتنوير)، فهو أصل من أصول التفسير ومرجع مهم من مراجعه، وقد قصد فيه الإمام الطاهر ابن عاشور تهذيب الأقوال التفسيرية، والإعراض عن الحشو والتطويل، وقد قصد به تصحيح مسار التأليف في التفسير القرآني، وهو الإمام الذى حمل على عاتقه عملية الإصلاح العلمي والاجتماعي[١].
٣- الحاجة إلى بيان الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره.

الدراسات السابقة:

لقد حظي تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور بدراسات عديدة، باعتباره من أهم كتب التفاسير في العصر الحديث التي جمعت بين علم الرواية وعلم الدراية،

(١)مقدمة تفسير التحرير والتنوير، ج١، ص٧.

فشملت هذه الدراسات جوانب متعددة من العلوم، فمنها ما تناول الجانب البلاغي، وبعضها تناول منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره، وبعضها تناول الجانب الفقهي والمقاصدي، وبعضها تناول حياة الإمام الطاهر ابن عاشور وظروف عصره، وبعد البحث في الكتب والمراجع، والبحث في مواقع الانترنت، تبين أن هذا الموضوع (الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٤هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير) من أول سورة الفاتحة إلى نهاية سورة الأنعام "جمعا ودراسة") من الموضوعات المستجدة في مجال الدراسات والبحوث العلمية، وسوف أذكر بعض الدراسات القريبة فقط من موضوع البحث، وهي كالتالي:-

١- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير" رسالة دكتوراه، للباحث/ هياثامر مفتاح العلى، جامعة الأزهر، طبعت بالدوحة سنة١٩٩٤م.

٢- نظرية المقاصد عند الإمام محمد الطاهر ابن عاشور، رسالة دكتوراه، إعداد: إسماعيل الحسيني، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٩٩٥م.

٣- ابن عاشور ومنهجه في التفسير تأليف: عبد الله بن إبراهيم الريس، رسالة ماجستير في جامعة الإمام محمد بن سعود، كلية أصول الدين، قسم القرآن وعلومه ١٤٠٥هـ.

٤- التفسير العقلي للقرآن الكريم عند الطاهر ابن عاشور، رسالة ماجستير، إعداد: محمد عويس عبدالرحيم، جامعة عين شمس، كلية الآداب،٢٠٠٢م.

٥- موقف الطاهر ابن عاشور(ت١٣٩٤) من الإعجاز العلمي من خلال تفسيره "التحرير والتنوير "رسالة ماجستير، إعداد/ وفاء عبدالرحيم عطا عبدالرحيم، كلية الآداب، جامعة سوهاج، ٢٠١٣م.

٦- الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، محمد بن سعد بن عبدالله القرني، رسالة ماجستير، أم القري.

٧- تفسير التحرير والتنوير "دراسة منهجية ونقدية"، للباحث جمال أبو حسان، رسالة ماجستير. الجامعة الأردنية.

٨- توظيف القراءات في تفسير التحرير والتنوير، للباحث محمد على الرابطي، رسالة ماجستير، جامعة السابع من أبريل – ليبيا.

٩- دراسة أساليب القصر في تفسير التحرير والتنوير، للباحث: حفني محمد عبد الرحيم، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر - كلية اللغة العربية بأسيوط.

١٠- الجهود البلاغية لمحمد الطاهر ابن عاشور للباحث عبد الرحمن إبراهيم فودة، رسالة دكتوراه جامعة القاهرة، كلية دار العلوم.

١١- الشيخ محمد الطاهر بن عاشور مفسرا، دراسة في العصر والشخصية والآثار والمصادر والمنهج للباحث إبراهيم الوافي، رسالة دكتوراه جامعة

محمد الخامس - الرباط.

١٢- أثر السياق في توجيه المعنى في تفسير التحرير والتنوير "دراسة نحوية دلالية"، للباحث إبراهيم إبراهيم سيد أحمد، رسالة دكتوراه جامعة عين شمس.

منهج الدراسة :

اعتمدت في هذا البحث علي منهجين رئيسين :

أولهما: المنهج الاستقرائي(١): حيث تتبعت بعض الأقوال التى ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير.

والثاني: المنهج التحليلى(٢): ويتمثل في مناقشة وتحليل تلك الأقوال التى ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، ومن ثم الحكم عليها بالقبول أو الرد وفق الضوابط المقررة لدى العلماء المحققين.

إجراءات البحث :

يعتمد البحث في هذه الدراسة على تفسير التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور، والرجوع إلى المصادر الأصلية، ككتب التفسير وعلوم القرآن، وكتب الحديث وشروحها، وكتب التخريج، والرجوع إلى كتب غريب القرآن ، والمعاجم اللغوية في ذكر معانى الكلمات، وغير ذلك من الكتب والأبحاث العلمية، وكان منهجي كالتالي:

ترقيم الآيات وعزوها إلى مواضعها من المصحف الشريف.

الرجوع إلى أمهات الكتب في التفسير وعلوم القرآن في تفسير الآيات، ونقل ما يحتاجه البحث منها مع نسبته إليها.

تخريج الأحاديث وبيان ما ذَكَرَهُ أهل الشأن في درجتها - إن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما - فإن كانت كذلك اكتفيتُ حينئذ بتخريجها.

د- تخريج الآثار من مصادرها الأصلية، والحُكم عليها.

هـ - التعريف بالمصطلحات وشرح الغريب.

و - ترجمة الأعلام الواردة في الرسالة ترجمة مختصرة – على قدر المستطاع- من كتب التراجم والسير، ما عدا المشهورين منهم.

ز- العناية بقواعد اللغة العربية والإملاء وعلامات الترقيم.

---

(١)هو: الذي يربط العقل فيه بين المقدمات والنتائج أو بين الأشياء وعللها، على أساس المنطق والتأمل الذهني، فهو يبدأ بالكليات ليصل منها إلى الجزئيات، انظر: البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د/ محمَّد زيان عمر، ص ٣٢.

(٢)المنهج التحليلي هو طريقة يستخدمها الباحث في بحثه حيث يعتمد على تفكيك العناصر الأساسية للموضوعات محل البحث، ومن ثَمَّ دراستها بأسلوب متعمق، وفي ضوء ذلك يتم استنباط أحكام أو قواعد؛ يمكن عن طريقها إجراء تعميمات تساعد في حل المشاكل الاجتماعية، ويشيع استخدام ذلك المنهج في العلوم الشرعية والأدبية والفقهية والاجتماعية بجميع أطيافها، انظر: المرجع السابق.

وكان منهجي في ترتيب الفهارس، كالتالي:

فهرس الآيات القرآنية, اكتفيت بذكر طرف الآية ورقمها واسم السورة، وقد رتبت الآيات على حسب ترتيبها في المصحف.

فهرس الأحاديث: وقد ذكرت فيه طرف الحديث.

فهرس الأعلام.

رتبت المصادر والمراجع ترتيبا هجائيا على حسب الحرف الأول من اسم الكتاب.

الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسير سورة الفاتحة

أولاً: الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في ذكر أول ما نزل من القرآن الكريم

قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾[١].

نص التضعيف للإمام الطاهر ابن عاشور:

قال رحمه الله: "ومعنى فتحها الكتاب أنها جعلت أول القرآن لمن يريد أن يقرأ القرآن من أوله فتكون فاتحة بالجعل النبوي في ترتيب السور، وقيل لأنها أول ما نزل وهو ضعيف لما ثبت في «الصحيح» واستفاض أن أول ما أنزل سورة اقرأ باسم ربك[٢]، وهذا مما لا ينبغي أن يتردد فيه. فالذي نجزم به أن سورة الفاتحة بعد أن نزلت أمر الله رسوله أن يجعلها أول ما يقرأ في تلاوته"[٣].

خلاصة تضعيف الإمام الطاهر ابن عاشور:

حيث ذكر ابن عاشور أن فاتحة الكتاب جعلت أول القرآن لمن أراد أن يقرأ القرآن، ويذكر هنا قولا يضعفه بلفظ (ضعيف) بأن أول ما نزل من القرآن سورة الفاتحة، وقد عزا الزمخشري[٤] هذا القول إلى أكثر المفسرين.

مناقشة التضعيف:

---

(١)سورة الفاتحة الآيه:١-٧.

(٢)سورة العلق الآيه: ١.

(٣)التّحرير و التّنوير، للطاهر ابن عاشور، ج١، ص١٣٣.

(٤) هو أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشرى النحوى المتكلم، من كبار المعتزلة، يلقب بجار الله لمجاورته بمكة المكرمة زمانا، من أعلام البلاغة والأدب والعربية، له مصنفات عديدة منها: الكشاف، المفصل ، وأساس البلاغة، توفي سنة (٥٣٨هـ). انظر إنباه الرواه ، ج٣، ص٢٦٥، وسير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص١٥١، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص١٠٤.

ناقش المفسرين القول بأن أول ما نزل من القرآن الكريم سورة الفاتحة، وقد استدل أصحاب هذا الرأي: بما رواه البيهقي في الدلائل بسنده عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل[١]: أن رسول الله ﷺ قال لخديجة رضي الله عنها: "إنى إذا خلوت سمعت نداء, وقد والله خشيت أن يكون هذا أمرا[٢]", فقالت : معاذ الله, ما كان الله ليفعل بك ذلك[٣] فوالله إنك لتؤدي الأمانة, وتصل الرحم, وتصدق الحديث, فلما دخل أبو بكر رضي الله عنه وليس رسول الله ﷺ ثم ذكرت خديجة حديثه له, وقالت: يا عتيق, اذهب مع محمد إلى ورقة, فلما دخل رسول الله ﷺ أخذ أبو بكر بيده, فقال: انطلق بنا إلى ورقة, فقال: "ومن أخبرك" ؟ قال: خديجة, فانطلقا إليه, فقصا عليه, فقال: "إذا خلوت وحدي سمعت نداء خلفي: يا محمد, وأنطلق هاربا في الأرض", فقال له: لا تفعل, إذا أتاك فاثبت, حتى تسمع ما يقول, ثم ائتني فأخبرني, فلما خلا ناداه يا محمد, قل: ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ قل: لا إله إلا الله, فأتى ورقة, فذكر ذلك له, فقال له ورقة: أبشر, ثم أبشر فأنا أشهد أنك الذي بشر به ابن مريم, وأنك على مثل ناموس موسى, وأنك لنبي مرسل وأنك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا, ولئن أدركني ذلك لأجاهدن معك, فلما توفي ورقة قال رسول الله ﷺ" لقد رأيت القس في الجنة عليه الثياب الحرير, لأنه آمن بي وصدقني يعني ورقة.

أجاب الحافظ ابن حجر[٤] ردا على قول الزمخشري فيما ذهب إليه: بأن هذا القول لم يقل به إلا عدد أقل عن القليل... والمحفوظ أن أول ما نزل قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[٥]، وأن نزول الفاتحة كان بعد ذلك[٦].

ووافق تضعيف ابن عاشور تضعيف ابن كثير[٧]، حيث قال: "وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْفَاتِحَةَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثٍ رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَائِلِ

---

(١) هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي، حدث عن الصحابة –رضى الله عنهم- توفى سنة (٦٢هـ). ينظر : تهذيب الكمال، ج٥، ص٤٢٢، وسير أعلام النبلاء، ج٤، ص١٣٥.

(٢)يعني شيئا أكرهه، أو يراد به لي الضرر، انظر: كتاب المدخل لدراسة القرآن الكريم، د.أبو شهبة، ص١١٥.

(٣)أي شيئا تكرهه، أو يلحق بك ضررا، لأن أخلاقك تبعد عنك أي سوء، انظر:المرجع السابق.

(٤) أحمد بن على بن محمد العسقلاني، المعروف بابن حجر، وهو لقب لبعض آبائه، انتهت إليه رئاسة علم الحديث، له مصنفات كثيرة، توفى سنة(٨٥٢هـ). ينظر: الضوء اللامع، ج ٢، ص٣٦.

(٥)سورة العلق، الآية: ١-٥.

(٦)فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج٨،ص ٩١٩.

(٧)إسماعيل بن عمر بن ضو بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقي، أبو الفداء عماد الدين: حافظ مفسر مؤرخ فقيه، ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، وانتقل مع أخ له إلى دمشق

النُّبُوَّةِ[١] وَنَقْلَهُ الْبَاقِلَّانِيُّ[٢] أَحَدَ أَقْوَالٍ ثَلَاثَةٍ هَذَا أَحَدُهَا وَقِيلَ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرٍ فِي الصَّحِيحِ[٣]. وَقِيلَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾[٤] وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ[٥].

وقال السيوطي[٦]: "وليس فيه التنصيص على أن الفاتحة أول ما نزلت، فيجوز- على فرض صحة هذا المرسل أن تكون من أوائل ما نزل، وإلى هذا ذهب البيهقي قال: وإن كان-أي المرسل- محفوظا فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه «اقرأ» و«المدثر»[٧].

وبعد تفنيد المفسرين لمن قال بأن أول ما نزل من القرآن سورة الفاتحة، ويمكن الرد على الحديث الذي احتجوا به، بأنه لا يصلح للاحتجاج به على أولية ما نزل مطلقا وذلك من وجهين:

أحدهما: أنه لا يفهم من هذه الرواية أن الفاتحة التي سمعها الرسول ﷺ كانت في فجر النبوة أول عهده بالوحي الجلي وهو في غار حراء بل يفهم منها أن الفاتحة كانت بعد ذلك العهد وبعد أن أتى الرسول ﷺ إلى ورقة وبعد أن سمع النداء من خلفه غير مرة وبعد أن أشار عليه ورقة أن يثبت عند هذا النداء حتى يسمع ما يلقى إليه. وليس الكلام هنا في هذا إنما هو فيما نزل أول مرة.

الثاني: أن هذا الحديث مرسل سقط من سنده الصحابي فلا يقوى على معارضة حديث عائشة السابق في بدء الوحي وهو مرفوع إلى النبي، فبطل إذا هذا الرأي.

سنة ٧٠٦هـ، ورحل في طلب العلم، وتوفي بدمشق (ت ٢٧٤هـ) من أشهر مصنفاته: البداية والنهاية، وتفسير القرآن العظيم. انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ج ١، ص ٤٤٥.

(١)قال ابن كثير عن هذا الحديث: "وهو مرسل، وفيه غرابة وهى كون الفاتحة أول ما نزل..."انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ج١٠،ص ٣.

(٢)هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم، المعروف بالباقلاني البصري المتكلم المشهور؛ كان على مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري، سكن بغداد، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، توفي آخر يوم السبت، ودفن يوم الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة ببغداد، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته: في تاريخ بغداد ٥ج، ص٣٧٩، وفيات الأعيان، ج٤، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٣)صحيح البخاري برقم (٤٩٢٣، ٤٩٢٦، ٤٩٥٤) وصحيح مسلم برقم (١٦١) .

(٤)سورة العلق، الآية: ١.

(٥)تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ج١،ص ١٠٣.

(٦)هو أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق بن همام الخضيري الأسيوطي الشافعي. رزق التبحر فى سعة علوم ، وقد بلغت مؤلفاته ما يزيد على خمسمائة كتاب .منها همع الهوامع ، والأشباه و النظائر فى العربية، والاقتراح فى أصول النحو، والمزهر . انظر ترجمته فى: حسن المحاضرة ، ج١، ص٣٣٤، والضوء اللامع، ج ٤،ص٦٥، وبدائع الزهور، ج٤،ص٨٣ .

(٧)الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ج ١ ص ٨٣.

سبب تضعيف ابن عاشور:

ضعف الطاهر ابن عاشور القول، بأن أول ما نزل من القرآن سورة الفاتحة واستدل على صحة قوله، بما جاء في الصحيحين، وهو الذي ذهب إليه أكثر أهل العلم وصححوه أن أول ما نزل من القرآن الآياتُ الأُولُ من سورة العلق، وهي قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾[(١)]، واستدلوا لهذا بحديث عائشة رضي الله عنها، الذي رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري- بسندهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، فكان يأتي حراء فيتحنث فيه -وهو التعبد الليالي ذوات العدد- ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فتزوده لمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فيه، فقال: اقرأ، فقال له النبي ﷺ : فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: ﴿{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[(٢)]. فرجع بها ترجف بوادره، حتى دخل على خديجة، فقال: زملوني زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: يا خديجة، ما لي؟ وأخبرها الخبر، وقال: قد خشيت على نفسي، فقالت له: كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهو ابن عم خديجة؛ أخو أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت له خديجة: أي ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ ما رأى، فقال ورقة: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعا، أكون حيا حين يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ : أو مخرجي هم؟ فقال ورقة: نعم؛ لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي[(٣)].

ويؤكد الطاهر ابن عاشور على رأيه فيقول: "فَالَّذِي نَجْزِمُ بِهِ أَنَّ سُورَةَ الْفَاتِحَةِ بَعْدَ أَنْ نَزَلَتْ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنْ يَجْعَلَهَا أَوَّلَ مَا يُقْرَأُ فِي تِلَاوَتِهِ".

---

(١)سورة العلق الآية: ١-٥.

(٢)سورة العلق الآية: ١-٥.

(٣)أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ١: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ... ، أصول في التفسير، حديث رقم ٣؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم: (٤٠٣).

القول الراجح:

صحة تضعيف الطاهر ابن عاشور للقول: بأن أول ما نزل من القرآن سورة الفاتحة.

والراجح: أن أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق هو سورة العلق، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥﴾ [١]، وهو ما ذهب إليه الإمام الطاهر ابن عاشور، وهو الذى عليه أكثر العلماء سلفا وخلفا.

ثانيا: الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في كون البسملة آية من سورة الفاتحة

قال تعالى: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [٢].

نص التضعيف للإمام الطاهر ابن عاشور:

قال رحمه الله: "وأما إذا ثبت أن بعض السلف كتبوا ذلك كما هو ظاهر كلام المفسرين والأصوليين والقراء كما في "لطائف الإشارات" للقسطلاني[٣] وهو مقتضى كتابة المتأخرين لذلك لأنهم ما كانوا يجرأون على الزيادة على ما فعله السلف فالاحتجاج حينئذ بالكتابة باطل من أصله ودعوى كون أسماء السور كتبت بلون مخالف لحبر القرآن يرده أن المشاهد في مصاحف السلف أن حبرها بلون واحد ولم يكن التلوين فاشيا"[٤].

وقال رحمه الله: "وأما حجة مذهب الشافعي ومن وافقه بأنها آية من سورة الفاتحة فأمور كثيرة أنهاها فخر الدين إلى سبع عشرة حجة[٥] لا يكاد يستقيم منها بعد طرح المتداخل والخارج عن محل النزاع وضعيف السند أو واهية إلا أمران: أحدهما أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال " فاتحة الكتاب سبع آيات .

---

(١)سورة العلق الآية: ١-٥.

(٢)سورة الفاتحة الآية:١-٧.

(٣)أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن الزين أحمد بن الجمال محمد بن الصفي عمد بن المجد حسين، القسطلاني الأصل، المصري الشافعي، من علماء الحديث. مولده ووفاته في القاهرة ولد سنة: (٨٥١ هـ)، من تصانيفه: (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري - ط) عشرة أجزاء. و"المواهب اللدنية في المنح المحمدية – ط" في السيرة النبوية، و "لطائف الإشارات في علم القراءات – خ" و"الكنز" في التجويد، و"الروض الزاهر في مناقب الشيخ عبد القادر" و"شرح البردة" سماه "مشارق الأنوار المضية – خ" منه نسخة في دمشق، توفي سنة (٩٢٣هـ). انظر في ترجمته: "الضوء اللامع" ج٢،ص ١٠٣، "الشذرات"، ج١٠،ص ١٦٩، "جهود علماء الحنفية"، ج٢، ص ٦٩٩.

(٤)تفسير التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٤٤.

(٥)مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي ،ج١، ص١٧٣.

أولاهن بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ " . وقول أم سلمة: "قرأ رسول الله ﷺ الفاتحة وعد ﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ آية"[١].

خلاصة تضعيف الإمام الطاهر ابن عاشور:

ضعف هنا الإمام الطاهر ابن عاشور ما ذهب إليه الشافعي ومن وافقه إلى أنها آية في أول سورة الفاتحة خاصة، وذهب عبد الله بن المبارك والشافعي في أحد قوليه وهو الأصح عنه إلى أنها آية من كل سورة. ولم ينقل عن أبي حنيفة من فقهاء الكوفة فيها شيء وأخذ منه صاحب الكشاف أنها ليست من السور عنده فعده في الذين قالوا بعدم جزئيتها من السور وهو الصحيح عنه . قال عبد الحكيم لأنه قال بعدم الجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية وكره قراءتها في أوائل السور الموصولة بالفاتحة في الركعتين الأوليين. وأزيد فأقول إنه لم ير الاقتصار عليها في الصلاة مجزئا عن القراءة[٢]".

وذكر رحمه الله صراحة ضعف هذا القول بقوله: "لا يكاد يستقيم منها بعد طرح المتداخل والخارج عن محل النزاع وضعيف السند أو واهيه لا يكاد يستقيم منها بعد طرح المتداخل والخارج عن محل النزاع وضعيف السند أو واهيه".

وبقوله أيضا:" فالاحتجاج حينئذ بالكتابة باطل من أصله".

فيظهر لنا جليا تأييد الإمام ابن عاشور لمذهبه المالكي القائل بأن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة، واستخدم الإمام ابن عاشور لفظ "باطل" في تضعيف القول الثاني.

مناقشة التضعيف:

اختلف المفسرين في البسملة هل هي آية من سورة الفاتحة أم لا؟

قال الإمام محمّد الطاهر ابن عاشور في الكلام على البسملة، ذاكرا إجماع الأمة على أن البسملة لفظ قرآنى، فقال: "أن لا خلاف بين المسلمين في أن لفظ بسم الله الرحمن الرحيم هو لفظ قرآني لأنه جزء آية من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾[٣] كما أنهم لم يختلفوا في أن الافتتاح بالتسمية في الأمور المهمة ذوات البال ورد في الإسلام وروي فيه حديث " كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ فهو أقطع"[٤].

وقال الجمهور إن البسملة رسمها الذين كتبوا المصاحف في أوائل السور ما عدا سورة براءة كما يؤخذ من محادثة ابن عباس مع عثمان[٥] وقد مضت في المقدمة

---

(١)تفسير التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٤٣.

(٢)تفسير التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٣٨.

(٣)سورة النمل الآية:٣٠.

(٤)«الجامع الصغير» للسيوطي، ج٢، ص١٥٨، قال الألباني: ضعيف، ضعيف الجامع ٤٢١٧،ج١، ص٦١٣.

(٥)أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قُلْتُ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ: مَا حَمَلَكُمْ أَنْ عَمَدْتُمْ إِلَى الْأَنْفَالِ وَهِيَ مِنَ الْمَثَانِي وَإِلَى بَرَاءَةَ وَهِيَ مِنَ الْمِئِينَ فَقَرَنْتُمْ بَيْنَهُمَا وَلَمْ تَكْتُبُوا بَيْنَهُمَا سَطْرَ

الثامنة[١] ولم يختلفوا في أنها كتبت في المصحف في أول سورة الفاتحة وذلك ليس موضع فصل السورة عما قبلها"[٢].

بعد عرض الإمام ابن عاشور لإجماع الأمة على أن البسملة لفظ قرآني، وقد كتبها الذين كتبوا المصاحف الشريفة، ثم ذكر بعد ذلك اختلاف العلماء في كون البسملة آية من سورة الفاتحة، فقال رحمه الله: "وإنما اختلفوا في أن البسملة هل هي آية من سورة الفاتحة ومن أوائل السور غير براءة بمعنى أن الاختلاف بينهم ليس في كونها قرآنا ولكنه في تكرار قرآنيتها كما أشار إليه ابن رشد الحفيد[٣] في البداية[٤].

وذكر ابن عاشور اختلاف العلماء في هذه المسألة، حيث اختلفوا إلى ثلاثة أقوال:

القول الأول: ما ذهب إليه الإمام مالك، والأوزاعي، وفقهاء المدينة والشام والبصرة "وقيل باستثناء عبد الله بن عمرو ابن شهاب من فقهاء المدينة" إلى أنها ليست بآية من أوائل السور لكنها جزء آية من سورة النمل.

القول الثاني: وقال به: الشافعي في أحد قوليه، وأحمد، وإسحاق، وأبو ثور، وفقهاء مكة والكوفة غير أبي حنيفة، إلى أنها آية في أول سورة الفاتحة خاصة.

القول الثالث: ذهب عبد الله بن المبارك والشافعي في أحد قوليه وهو الأصح عنه إلى أنها آية من كل سورة.

ولم ينقل عن أبي حنيفة من فقهاء الكوفة فيها شيء وأخذ منه صاحب الكشاف أنها ليست من السور عنده فعده في الذين قالوا بعدم جزئيتها من السور وهو الصحيح عنه. قال عبد الحكيم لأنه قال بعدم الجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية وكره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَوَضَعْتُمُوهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ تُنَزَّلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ ضَعُوا هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، وَكَانَتِ الْأَنْفَالُ مِنْ أَوَائِلِ مَا أُنْزِلَتْ بِالْمَدِينَةِ وَكَانَتْ بَرَاءَةُ مِنْ آخِرِ الْقُرْآنِ، وَكَانَتْ قِصَّتُهَا شَبِيهَةً بِقِصَّتِهَا فَظَنَنْتُ أَنَّهَا مِنْهَا فَقُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ وَلَمْ يُبَيِّنْ لَنَا أَنَّهَا مِنْهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ قَرَنْتُ بَيْنَهُمَا وَلَمْ أَكْتُبْ بَيْنَهُمَا سَطْرَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَوَضَعْتُهُمَا فِي السَّبْعِ الطِّوَالِ».
انظر: صحيح الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ج٥ ص٢٧٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(١)التّحرير و التّنوير،ج١، ص٨٨.

(٢) المصدر السابق،ج١ ص ١٣٨.

(٣)هو ابْنِ شَيْخِ المَالِكِيَّةِ أَبِي الوَلِيْدِ مُحَمَّدِ بنِ أَحْمَدَ بنِ أَحْمَدَ بنِ رُشْدٍ القُرْطُبِيُّ، قَبْل مَوْت جدّه بِشهر، ولد: سَنَة عِشْرِيْنَ وَخَمْس مائَةٍ، وَلَهُ مِنَ التَّصَانِيْف: (بدَايَة المُجْتَهِد) فِي الفِقْه، وَ(الكُلِّيَّات) فِي الطِّبّ، وَ(مُخْتَصَر المُسْتصفَى) فِي الأُصُوْل، (المتوفى سنة ٥٢٠)، انظر: سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، ٣٠٩/٢١ ،تحقيق: الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة ، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٤) بداية المجتهد ونهاية المقتصد، لابن رشد، ج١، ص١٣٢.

قراءتها في أوائل السور الموصولة بالفاتحة في الركعتين الأوليين. وأزيد فأقول إنه لم ير الاقتصار عليها في الصلاة مجزئا عن القراءة[١]".

أدلة أصحاب القول الأول:

ذكر الإمام ابن عاشور بعض أراء العلماء فى كون البسملة آية من سورة الفاتحة متعرضا لأدلتهم بالمناقشة، فقال رحمه الله متناولا أولا رأى المالكية ومن وافقهم، فقال:

"أما حجة مذهب مالك ومن وافقه فلهم فيها مسالك: أحدها: من طريق النظر والثاني: من طريق الأثر والثالث: من طريق الذوق العربي.

المسلك الأول: قال للقاضي أبي بكر الباقلاني: "لو كانت التسمية من القرآن لكان طريق إثباتها إما التواتر أو الآحاد والأول باطل لأنه لو ثبت بالتواتر كونها من القرآن لحصل العلم الضروري بذلك ولا امتنع وقوع الخلاف فيه بين الأمة، والثاني: أيضا باطل لأن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن فلو جعلناه طريقا إلى إثبات القرآن لخرج القرآن عن كونه حجة يقينية ولصار ذلك ظنيا ولو جاز ذلك لجاز ادعاء الروافض أن القرآن دخله الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف" اهـ"[٢].

ووافقه على ذلك أبو بكر ابن العربي[٣] في أحكام القرآن، فقال: يكفيك أنها ليست من القرآن الاختلاف فيها والقرآن لا يختلف فيه [٤].

وقال القاضي عبد الوهاب[٥]: "إن رسول الله ﷺ بين القرآن بيانا واحدا متساويا ولم تكن عادته في بيانه مختلفة بالظهور والخفاء حتى يختص به الواحد والاثنان؛ ولذلك قطعنا بمنع أن يكون شيء من القرآن لم ينقل إلينا وأبطلنا قول الرافضة إن القرآن

---

(١)التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٣٨.

(٢)الإشراف على نكت مسائل الخلاف، القاضي عبد الوهاب، ج١،ص ٢٣٤.

(٣)هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله المعافري الأندلسي الإشبيلي المالكي المعروف بابن العربي أبو بكر، عالم في الحديث والفقه والأصول وعلوم القرآن والأدب والنحو والتاريخ، وغير ذلك ، من تصانيفه : شرح الجامع الصحيح للترمذي ، والمحصول في الأصول ، وغوامض النحويين، وغيرهما ، توفى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . تراجع ترجمته في : تذكرة الحفاظ، ج ٤، ص ١٢٩٤ – ١٢٩٨، والبغية، ج٢، ص ٣٩٨ – ٣٩٩ ، ومعجم المؤلفين، ج ١٠، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٤)أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، ج١، ص٦، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

(٥)هو القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين بن هارون بن مالك بن طوق التغلبي البغدادي الفقيه المالكي، كان فقيهاً أديباً شاعراً، صنف في مذهبه كتاب "التلقين"، وله كتاب " المعونة " و " شرح الرسالة " وغير ذلك عدة تصانيف، سئل عن مولده فقال: يوم الخميس السابع من شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة ببغداد. وتوفي ليلة الاثنين الرابعة عشرة من صفر سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة بمصر. انظر ترجمته في: البداية والنهاية، ج١٢، ص ٣٢، وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٢٠.

حمل جمل عند الإمام المعصوم المنتظر فلو كانت البسملة من الحمد لبينها رسول الله ﷺ بيانا شافيا"[١].

وانتصر ابن عاشور لقول الباقلاني معللا ذلك بقوله: "وهو كلام وجيه والأقيسة الاستثنائية التي طواها في كلامه واضحة لمن له ممارسة للمنطق وشرطياتها لا تحتاج للاستدلال لأنها بديهية من الشريعة فلا حاجة إلى بسطها".

وعارض الإمام أبو حامد الغزالي، قول القاضي أبو بكر الباقلاني، فقال: "نفي كون البسملة من القرآن أيضا إن ثبت بالتواتر لزم أن لا يبقى الخلاف" أي وهو ظاهر البطلان" وإن ثبت بالآحاد يصير القرآن ظنيا، قال ولا يقال إن كون شيء ليس من القرآن عدم والعدم لا يحتاج إلى الإثبات لأنه الأصل بخلاف القول بأنها من القرآن لأنا نجيب بأن هذا وإن كان عدما إلا أن كون التسمية مكتوبة بخط القرآن يوهن كونها ليست من القرآن فها هنا لا يمكننا الحكم بأنها ليست من القرآن إلا بالدليل ويأتي الكلام في أن الدليل ما هو فثبت أن الكلام الذي أورده القاضي لازم عليه[٢]، وتبعه على ذلك الفخر الرازي[٣] في تفسيره[٤].

وعلق الطاهر ابن عاشور على اعتراض الغزالى والفخر الرازي فقال: "ولا يخفى أنه آل في استدلاله إلى المصادرة إذ قد صار مرجع استدلال الغزالي وفخر الدين إلى رسم البسملة في المصاحف وسنتكلم عن تحقيق ذلك عند الكلام على مدرك الشافعي"[٥].

المسلك الثاني عن طريق الأثر: قال ابن عاشور: "وأما المسلك الثاني: وهو الاستدلال من الأثر فلا نجد في صحيح السنة ما يشهد بأن البسملة آية من أوائل سور القرآن والأدلة ستة".

حيث استند الطاهر ابن عاشور إلى ستة أدلة من الأثر، كالتالي:-

الدليل الأول: ما روى مالك في الموطأ عن العلاء بن عبد الرحمن إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "قال الله تعالى قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فأقول

---

(١)الإشراف على نكت مسائل الخلاف، القاضي عبد الوهاب،ج١،ص ٢٣٤.

(٢)المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ص٨٣، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

(٣)هو محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي الحنفي زين الدين أبو عبد الله الملقب بفخر الدين الرازي ، لغوي، فقيه ، صوفي، مفسر، أديب، أصله من الرى، من تصانيفه: مختار الصحاح ، وروضة الفصاحة في غريب القرآن ، ودقائق الحقائق في التصرف وغيرها ، كان حياً سنة ست وستين وستمائة . انظر ترجمته في : كشف الظنون ، ج٢، ص١٠٧٢ – ١٠٧٣ ، والأعلام، ج ٦، ص٥٥ ، ومعجم المؤلفين، ج ٩، ص١١٢.

(٤)مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي،ج١، ص٢٢، دار إحياء التراث العربي بيروت ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.

(٥)التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٣٩.

حمدني عبدي..." إلخ[١]. والمراد بالصلاة القراءة في الصلاة ووجه الدليل منه أنه لم يذكر ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

الدليل الثاني: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَادَى أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَهُوَ يُصَلِّي، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ لَحِقَهُ، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى يَدِهِ. وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: «إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ حَتَّى تَعْلَمَ سُورَةً، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَاةِ، وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الْقُرْآنِ مِثْلَهَا»، قَالَ أُبَيٌّ فَجَعَلْتُ أُبْطِئُ فِي الْمَشْيِ رَجَاءَ ذَلِكَ. ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ السُّورَةَ الَّتِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: «كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ؟» قَالَ فَقَرَأْتُ {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، حَتَّى أَتَيْتُ عَلَى آخِرِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هِيَ هَذِهِ السُّورَةُ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُعْطِيتُ»[٢].
فهذا دليل على أنه لم يقرأ منها البسملة.

الدليل الثالث: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ: "صَلَّيْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَكَانُوا يستفتحون بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا يَذْكُرُونَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، لَا فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا"[٣].
الدليل الرابع : حديث عائشة في صحيح مسلم وسنن أبي داود قالت : "كان رسول الله ﷺ يستفتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين"[٤].
الدليل الخامس: ما في سنن الترمذي والنسائي عن عبد الله بن مغفل قال: "صليت مع النبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحدا منهم يقول ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إذا أنت صليت فقل الحمد لله رب العالمين"[٥].

---

(١)موطأ الإمام مالك، لأبى عبدالله مالك بن أنس الأصبحي عالم المدينة، ت:٩٣ه، ح: ٣٩، ج١، ص ٨٤، خرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان: ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
(٢)موطأ الإمام مالك، ح: ٣٧، ج١، ص ٨٣.
(٣)صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، كتاب الصلاة،باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، ح: (٥٢- ٣٩٩)، ج١، ص٣٥٧، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
(٤)صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يجمع صفة الصلاة وما يفتتح به ويختم به وصفة الركوع والاعتدال منه، والسجود والاعتدال منه والتشهد بعد كل ركعتين من الرباعية وصفة الجلوس بين السجدتين، وفي التشهد الأول، ح(٢٤٠ - ٤٩٨)، ج١، ص٣٥٧.
(٥) قال أبو عيسى: حديث عبدالله بن مغفل حديث حسن، ونسبه الزيلعي في نصب الراية، ج١،ص٣٣٢، إلى النسائي وابن ماجة، ثم قال: (قال النووي في الخلاصة: وقد ضعف الحفاظ هذا الحديث وأنكروا على الترمذي تحسينه، كابن خزيمة وابن عبد البر والخطيب، وقالوا: إن مداره على ابن عبدالله بن مغفل ، وهو مجهول). ثم نقله من معجم الطبراني من طريق أبي سفيان طريف بن شهاب عن يزيد بن عبدالله بن مغفل عن أبيه، وهو أيضا في مسند أحمد (ج٤ ص٨٥) عن إسماعيل، وهو ابن إبراهيم المعروف بابن عليه الذى رواه

الدليل السادس: عمل أهل المدينة فإن المسجد النبوي من وقت نزول الوحي إلى زمن مالك صلى فيه رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدون والأمراء وصلى وراءهم الصحابة وأهل العلم ولم يسمع أحد قرأ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ في الصلاة الجهرية وهل يقول عالم ان بعض السورة جهر وبعضها سر فقد حصل التواتر بأن النبي والخلفاء لم يجهروا بها في الجهرية فدل على أنها ليست من السورة ولو جهروا بها لما اختلف الناس فيها.

وأضاف الطاهر ابن عاشور دليلا آخر من الأثر بالإضافة إلى الأدلة السابقة، وهو حديث عائشة -رضى الله عنها- في بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وهو معتبر مرفوعا إلى النبي ﷺ وذلك قوله " ففجئه الملك فقال: اقرأ قال رسول الله فقلت ما أنا بقارئ إلى أن قال فتغطني الثالثة ثم قال: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾"(١). فلم يقل فقال لي بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ اقرأ بسم ربك وقد ذكروا هذا في تفسير سورة العلق وفي شرح حديث بدء الوحي"[٢].

المسلك الثالث: استدلال المالكية عن طريق الذوق العربي: فيأتي القول فيه على مراعاة قول القائلين بأن البسملة آية من سورة الفاتحة خاصة وذلك يوجب أن يتكرر لفظان وهما الرحمن الرحيم في كلام غير طويل ليس بينهما فصل كثير وذلك مما لا يحمد في باب البلاغة، وهذا الاستدلال نقله الإمام الرازي في تفسيره وأجاب عنه بقوله: "إن التكرار لأجل التأكيد كثير في القرآن وإن تأكيد كونه تعالى رحمانا رحيما من أعظم المهمات"[٣].

واعترض الإمام ابن عاشور على جواب الفخر الرازي بقوله: "وأنا أدفع جوابه بأن التكرار وإن كانت له مواقع محمودة في الكلام البليغ مثل التهويل ومقام الرثاء أو التعديد أو التوكيد اللفظي إلا أن الفاتحة لا مناسبة لها بأغراض التكرير ولا سيما التوكيد لأنه لا منكر لكونه تعالى رحمانا رحيما ولأن شأن التوكيد اللفظي أن يقترن فيه اللفظان بلا فصل فتعين أنه تكرير اللفظ في الكلام لوجود مقتضى التعبير عن مدلوله بطريق الاسم الظاهر دون الضمير وذلك مشروط بأن يبعد ما بين المكرَّرَيْن بعدا يقصيه عن السمع وقد علمت أنهم عدوا في فصاحة الكلام خلوصه من كثرة التكرار والقرب بين الرحمن والرحيم حين كررا يمنع ذلك"[٤].

الترمذي من طريقه هنا، عن الجريري عن قيس بن عبايه (عن ابن عبدالله ابن مغفل يزيد بن عبدالله قال: سمعنى أبي)إلخ، وهذا إسناد صحيح فيه التصريح باسم يزيد بن عبدالله. انظر: الجامع الصحيح"سنن الترمذي" ، ج٢ ص١٣.

(١)أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ١: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، أصول في التفسير، حديث رقم ٣؛ ومسلم كتاب الإيمان باب ٧٣: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم ٤٠٣ -٢٥٢- ١٦٠.

(٢)التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٤١.

(٣)مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي ،ج١، ص١٧٩.

(٤)التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٤٢.

بعد رد الإمام ابن عاشور على الفخر الرازي القائل بأن التكرار لأجل التأكيد كثير في القرآن وإن تأكيد كونه تعالى رحمانا رحيما من أعظم المهمات، يذكر ابن عاشور رأيه فى القائلين بالاستدلال بالذوق العربي، فيقول: "وأنا أرى في الاستدلال بمسلك الذوق العربي أن يكون على مراعاة قول القائلين بكون البسملة آية من كل سورة فينشأ من هذا القول أن تكون فواتح سور القرآن كلها متماثلة وذلك مما لا يحمد في كلام البلغاء إذ الشأن أن يقع التفنن في الفواتح بل قد عد علماء البلاغة أهم مواضع التأنق فاتحة الكلام وخاتمته وذكروا أن فواتح السور وخواتمها واردة على أحسن وجوه البيان وأكملها فكيف يسوغ أن يدعى أن فواتح سورة جملة واحدة مع أن عامة البلغاء من الخطباء والشعراء والكتاب يتنافسون في تفنن فواتح منشآتهم ويعيبون من يلتزم في كلامه طريقة واحدة فما ظنك بأبلغ الكلام"[١].

أدلة أصحاب القول الثاني: وهو القائل بأنها آية من سورة الفاتحة:

استعرض ابن عاشور أدلة أصحاب هذا القول: "وأما حجة مذهب الشافعي ومن وافقه بأنها آية من سورة الفاتحة فأمور كثيرة أنهاها فخر الدين إلى سبع عشرة حجة[٢] لا يكاد يستقيم منها بعد طرح المتداخل والخارج عن محل النزاع وضعيف السند أو واهية إلا أمران: أحدهما أحاديث كثيرة منها ما روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال " فاتحة الكتاب سبع آيات، أولاهن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ "، وقول أم سلمة : "قرأ رسول الله ﷺ الفاتحة وعد ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله رب العالمين ﴾ آية".

الثاني : الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله[٣].

رد الإمام ابن عاشور على أدلة هذا القول فقال: "والجواب أما عن حديث أبي هريرة فهو لم يخرجه أحد من رجال الصحيح إنما خرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي فهو نازل عن درجة الصحيح فلا يعارض الأحاديث الصحيحة وأما حديث أم سلمة فلم يخرجه من رجال الصحيح غير أبي داود وأخرجه أحمد بن حنبل والبيهقي وصحح بعض طرقه وقد طعن فيه الطحاوي بأنه رواه ابن أبي مليكة ولم يثبت سماع ابن أبي مليكة من أم سلمة يعني أنه مقطوع على أنه روى عنها ما يخالفه على أن شيخ الإسلام زكريا قد صرح في حاشيته على تفسير البيضاوي بأنه لم يروى باللفظ المذكور وإنما روى بألفاظ تدل على أن (بسم الله) آية وحدها فلا يؤخذ منه كونها من الفاتحة على أن هذا يفضي إلى إثبات القرآنية بغير المتواتر وهو ما يأباه المسلمون.

وأما عن الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله فالجواب: أنه لا يقتضي إلا أن البسملة قرآن وهذا لا نزاع فيه وأما كون المواضع التي رسمت فيها في المصحف

(١)المصدر السابق،ج١ ص ١٤٣.
(٢)مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي ،ج١، ص١٧٣.
(٣)التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٤٣.

مما تجب قراءتها فيها فذلك أمر يتبع رواية القراء وأخبار السنة الصحيحة فيعود إلى الأدلة السابقة.

وهذا كله بناء على تسليم أن الصحابة لم يكتبوا أسماء السور وكونها مكية أو مدنية في المصحف وأن ذلك من صنع المتأخرين، وهو صريح كلام عبد الحكيم[١] في حاشية البيضاوي وأما إذا ثبت أن بعض السلف كتبوا ذلك كما هو ظاهر كلام المفسرين والأصوليين والقراء كما في "لطائف الإشارات" للقسطلاني وهو مقتضى كتابة المتأخرين لذلك لأنهم ما كانوا يجرأون على الزيادة على ما فعله السلف فالاحتجاج حينئذ بالكتابة باطل من أصله ودعوى كون أسماء السور كتبت بلون مخالف لحبر القرآن يرده أن المشاهد في مصاحف السلف أن حبرها بلون واحد ولم يكن التلوين فاشيا[٢].

بعد عرض الإمام ابن عاشور لأقوال العلماء ومناقشة أدلتهم، يفصح عن رأية صراحة موافقا للقول الأول بأن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة، فيقول: "والحق البين في أمر البسملة في أوائل السور أنها كتبت للفصل بين السور ليكون الفصل مناسبا لابتداء المصحف ولئلا يكون بلفظ من غير القرآن.

واستدل ابن عاشور لصحة قوله: ما روى عن ابن عباس أنه قال: "قلت لعثمان بن عفان: " ما حملكم أن عمدتم إلى براءة وهي من المئين وإلى الأنفال وهي من المثاني فجعلتموهما في السبع الطوال ولم تكتبوا بينهما سطرا " بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّ الله الرحمن الرحيم " قال عثمان كان النبي ﷺ لما تنزل عليه الآيات فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له ضع هذه الآية بالسورة التي يذكر فيها كذا وكذا أو تنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك وكانت الأنفال من أول ما أنزل عليه بالمدينة وكانت براءة من آخر ما أنزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها فقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها منها فظننت أنها منها فمن هناك وضعتها في السبع الطوال ولم أكتب بينهما سطرا " بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ "[٣].

---

(١)هو: عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتي، أحد مشاهير الهند، اتفق على فضله علماء الآفاق، وسارت بمصنفاته الرفاق. ولد ونشأ بسيالكوت من بلاد بنجاب الهند، له تصانيف كثيرة منها: (عقائد السيالكوتي - ط) و (حاشية على تفسير البيضاوي - ط) لم تكمل، و (زبدة الأفكار - ط) حاشية على شرح العقائد النسفية، و (حاشية على الجرجاني - ط) في المنطق، و (حاشية على القطب، على الشمسية - ط) منطق، و (حاشية على المطول - ط) بلاغة، وفاته: سنة (١٠٦٧ هـ).انظر ترجمته: الأعلام، ج ٣، ص ٢٨٣، خلاصة الأثر، ج٢،ص ٣١٨ والكتبخانة، ج١،ص١٦٦، ومعجم المطبوعات، ص ١٠٦٨.

(٢)التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٤٤.

(٣)صحيح الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، ج٥ ص٢٧٣، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

وجه الدلالة: حيث استدل ابن عاشور بهذا الأثر على صحة القول الأول فقال: "وأرى في هذا دلالة بينة على أن البسملة لم تكتب بين السور غير الأنفال وبراءة إلا حين جمع القرآن في مصحف واحد زمن عثمان وأنها لم تكن مكتوبة في أوائل السور في الصحف التي جمعها زيد بن ثابت في خلافة أبي بكر إذ كانت لكل سورة صحيفة مفردة كما تقدم في المقدمة الثامنة من مقدمات هذا التفسير"(١).

بعد عرض الأقوال السابقة يظهر جليا تأييد الإمام ابن عاشور لمذهبه المالكي القائل بأن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة، واستخدم الإمام ابن عاشور لفظ "باطل" في تضعيف القول الثاني.

سبب تضعيف ابن عاشور:

استدل الإمام ابن عاشور على صحة قوله في تضعيف من قال بأن البسملة آية من سورة الفاتحة بما ذهب إليه المالكية، ومن وافقهم بأدلة، منها:

أولا: من طريق النظر: مستدلا بقول الباقلاني في كتاب الاشراف: لو كانت التسمية من القرآن لكان طريق إثباتها إما التواتر أو الآحاد والأول باطل لأنه لو ثبت بالتواتر كونها من القرآن لحصل العلم الضروري بذلك ولا امتنع وقوع الخلاف فيه بين الأمة، والثاني: أيضا باطل لأن خبر الواحد لا يفيد إلا الظن فلو جعلناه طريقا إلى إثبات القرآن لخرج القرآن عن كونه حجة يقينية ولصار ذلك ظنيا ولو جاز ذلك لجاز ادعاء الروافض أن القرآن دخله الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف"(٢).

ثانيا: من طريق الأثر: فلا نجد في صحيح السنة ما يشهد بأن البسملة آية من أوائل سور القرآن وذكر ابن عاشور ستة أدلة من الأثر على ذلك.

ومما استند إليه الإمام الطاهر ابن عاشور في تضعيفه رده على أدلة أصحاب القول الثاني، بقوله: "والجواب أما عن حديث أبي هريرة فهو لم يخرجه أحد من رجال الصحيح إنما خرجه الطبراني وابن مردويه والبيهقي فهو نازل عن درجة الصحيح فلا يعارض الأحاديث الصحيحة وأما حديث أم سلمة فلم يخرجه من رجال الصحيح غير أبي داود وأخرجه أحمد بن حنبل والبيهقي وصحح بعض طرقه وقد طعن فيه الطحاوي بأنه رواه ابن أبي مليكة ولم يثبت سماع ابن أبي مليكة من أم سلمة يعني أنه مقطوع على أنه روى عنها ما يخالفه على أن شيخ الإسلام زكريا(٣)

---

(١)التّحرير و التّنوير،ج١ ص ١٤٤.

(٢)الإشراف على نكت مسائل الخلاف، ج١،ص ٢٣٤.

(٣)هو: الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام قاضي القضاة زين الدين أبو يحيى زكريا بن محمد ابن أحمد بن زكريا الأنصاري الخزرجي أصلاً، السنيكي مولداً، القاهري إقامة، الأزهري علماً، معتقداً، الصوفي مسلكاً، الشافعي مذهباً، ولد في سنيكة (بشرقية مصر) عام ٨٢٤هـ له تصانيف عدة منها: فتح الرحمن وتحفة الباري على صحيح البخاري وفتح الجليل - تعليق على تفسير البيضاوي و(شرح ألفية العراقي - ط) في مصطلح الحديث، وغيرها، ولاه السلطان قايتباي قضاء القضاة، ولما ولي رأى من السلطان عدولا عن الحق في بعض أعماله، فكتب إليه يزجره عن الظلم، فعزله السلطان، فعاد إلى اشتغاله بالعلم إلى أن توفي

قد صرح في حاشيته على تفسير البيضاوي بأنه لم يروى باللفظ المذكور وإنما روى بألفاظ تدل على أن (بسم الله) آية وحدها فلا يؤخذ منه كونها من الفاتحة على أن هذا يفضي إلى إثبات القرآنية بغير المتواتر وهو ما يأباه المسلمون.

القول الراجح :

صحة تضعيف الإمام ابن عاشور للقول بأن البسملة آية من سورة الفاتحة، وصحة ما ذهب إليه أصحاب القول الأول، وهو ما ذهب إليه الإمام الطاهر ابن عاشور بأن البسملة ليست آية من سورة الفاتحة، وأن كتابة البسملة في أوائل السور إنما كتبت للفصل بين السور ليكون الفصل مناسبا لابتداء المصحف، ولئلا يكون بلفظ من غير القرآن الكريم.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فهذه أهم النتائج والتوصيات التى توصلت إليها من خلال دراستي للأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير، أوجزها فيما يلى :

أولا: النتائج:

١- تبين للباحث أهمية العناية بمعرفة الأقوال التفسيرية الضعيفة، والوقوف على أبرز الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الضعف في التفسير.

٢- بينت الدراسة منهج الإمام الطاهر ابن عاشور في التعامل مع الأقوال التفسيرية الضعيفة، وطرق كشفها، وأساليب التعامل معها.

٣- إن الإمام الطاهر ابن عاشور مجددٌ في علم التفسير، وأعاد لهذا العلم هيبته، وحرص على تخليصه من الشوائب التي علقت به من أقوال باطلة وضعيفة، وهذا يدل على تمكنه في فنون العلم، وأصول الشريعة.

٤- اهتم الطاهر ابن عاشور في تفسيره بعلوم القرآن الكريم من خلال اهتمامه بالقراءات المتواترة، والدفاع عنها، وبيان القراءات الضعيفة والشاذة، كما تناول المسائل المتعلقة بأسباب النزول.

٥- تعددت الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور والتي وقفت عليها من خلال تفسيره التحرير والتنوير، وبلغت هذه الأقوال الضعيفة ستةً وستين قولا تفسيريا، حالف الطاهر ابن عاشور فيها الصواب، ما عدا ثلاثة أقوال جانبه الصواب.

عام ٩٢٦ه.انظر ترجمته: الكواكب السائرة للغزي، ج١،ص١٩٨؛ شذرات الذهب لابن العماد، ج٨، ص١٧٤؛ معجم المطبوعات، ص ٤٨٣؛ الأعلام للزركلى، ج٣، ص٤٦ ؛ معجم المؤلفين لكحاله،ج٤، ص١٨٢.

٦- إن الطاهر ابن عاشور قد أثبت استقلاليته في تضعيفه لبعض أقوال المفسرين قبله، ولم يكن مقلدا ولا متعصبا، حيث انفرد الطاهر ابن عاشور عن المفسرين في تضعيفه لبعض الأقوال في تفسيره، مع الاستدلال والاحتجاج وذلك يؤكد استقلاله، وإمامته في هذا العلم.

٧- استخدم الطاهر بن عاشور منهجا خاصا في بيان سبب تضعيفه لبعض الأقوال التفسيرية، وبيان الخلل فيها، وهي كالتالي:

أ- الاحتجاج بالأسلوب العربي، ودراسة الأقوال وفق كلام العرب وما نقل عنهم، إذا لم يخالف المتواتر، مثل دفاعه عن قراءة ابن عامر.

ب- الاعتماد على دليل السياق في الآية الكريمة دون القياس.

ج- رد القول التفسيري لكونه يتضمن لوازم باطلة.

د- الرجوع إلى المصدر الأصلي للنقل، وبيان التأكد من صحته.

هـ- الاستشهاد بما ورد في الكتب السماوية السابقة.

ثانيا: التوصيات:

أهمية دراسة مناهج المفسرين في بيان الأقوال الضعيفة في التفسير، والقواعد التي استخدموها في دراسة هذه الأقوال.

حث الباحثين على استكمال تناول بقية الأقوال التفسيرية التي ضعفها الإمام الطاهر ابن عاشور من خلال تفسيره التحرير والتنوير.

دعوة العلماء وطلبة العلم للاستفادة من منهج الطاهر ابن عاشور في مواجهة الأقوال التفسيرية الضعيفة.

هذه هى أهم النتائج والتوصيات التى توصل إليها البحث، وإنى لا أدعي لهذا البحث الكمال، إنما هو عمل المقصر، وجهد المقل الذى أراد أن يسهم - ولو بالقليل - وإنى لأرجو من الله العفو الصفح عما وقع فيه من الخطأ أو السهو، وأن يجعل ما كان منه صوابا زادا إلى حسن المصير إليه، وعتادا إلى يمن القدوم عليه، إنه بكل جميل كفيل، وهو نعم المولى ونعم النصير. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. أسد الغابة المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ، الناشر: دار الفكر - بيروت عام النشر: ١٩٨٩م.

٣. الإصابة في تمييز الصحابة لأبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى - ١٤١٥ هـ.

٤. الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعر بين والمستشرقين لخير الدين الزركلي . تحقيق : الدهان ، وعبد السلام . دار العلم للملايين(بيروت) . الطبعة الثانية (١٩٨٩).

٥. البحث العلمي مناهجه وتقنياته: د/ محمَّد زيان عمر، ط/ جدة بالسعودية، ١٣٩٤ هـ.

٦. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق، محمد على النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- القاهرة ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.

٧. تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، (٣٩٢ هـ - ٤٦٢ هـ) .

٨. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر - تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٩. تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٠. تفسير الإمام ابن عرفة المؤلف: محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. حسن المناعي الناشر: مركز البحوث بالكلية الزيتونية - تونس الطبعة: الأولى، ١٩٨٦م.

١١. التَّفْسِيرُ البَسِيْط، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. ط: الأولى،١٤٣٠هـ.

١٢. تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ)، الناشر: دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى

١٣. تفسير السدي الكبير، للإمام أبي محمد اسماعيل بن عبدالرحمن السدي الكبير، جمع وترتيب ودراسة: محمد عطا يوسف، دار الوفاء للطباعة والنشر – المنصورة.
١٤. تفسير المنار، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت ١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب١٩٩٠ م.
١٥. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.
١٦. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى١٤١٩.
١٧. تفسير القرطبي "الجامع لأحكام القرآن" المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٨. جامع البيان في تأويل آي القرآن تفسير الطبري للمؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري, المحقق: أحمد محمد شاكر, ط: مؤسسة الرسالة ,الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
١٩. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.
٢٠. سنن أبي داود، تحقيق: يوسف الحاج، مكتبة ابن حجر، دمشق، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.
٢١. سنن الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي.
٢٢. السنن للدار قطني(ت٣٨٥هـ) . تحقيق : محمد بن منصوري سيد الشورى . دار الكتب العلمية .(بيروت). الطبعة الأولى (١٤١٧ – ١٩٩٦) .
٢٣. السنن للدارمي (ت ٨٦٩ هـ). تحقيق : فوّاز أحمد رمزي ، وخالد السبع العليمي . الطبعة الأولى (١٤٠٧ – ١٩٨٧)
٢٤. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

٢٥. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .
٢٦. صحيح مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢٧. فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ أبي الفضل احمد بن على بن حجر العسقلاني– ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٨. قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر المؤلف: أبو محمد الطيب بن عبد الله بن أحمد بن علي بامخرمة، الهِجراني الحضرمي الشافعي (٨٧٠ - ٩٤٧ هـ) عُني به: بو جمعة مكري / خالد زواري الناشر: دار المنهاج - جدة الطبعة: الأولى، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م
٢٩. الإشراف على نكت مسائل الخلاف، القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي (٤٢٢هـ)، المحقق: الحبيب بن طاهر، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
٣٠. مسند الإمام أحمد، بتحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة تحقيق: شعيب الأرنؤوط.
٣١. المعجم الكبير للطبراني . تحقيق : حمدي عبد المجيد السلفي. دار البيان العربي (القاهرة) ١٩٨٥.
٣٢. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (ت ٣٩٥ هـ). تحقيق : عبد السلام هارون . دار الجيل(بيروت) ١٩٧٢
٣٣. معرفة الصحابة لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني المتوفى: ٤٣٠هـ، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض ١٤١٩هـ .
٣٤. مفاتيح الغيب " التفسير الكبير" للإمام فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت١٤٢٠ هـ.
٣٥. الوافي بالوفيات المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث بيروت:١٤٢٠هـ
٣٦. وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان – لأبي العباس بن خلكان(ت ٦٨١ هـ) . تحقيق : إحسان عباس . دار صادر(بيروت).